

قصة الخلق البابلية (Enûma Eliš)

هي قصة الخلق البابلية. يأتي اسمها إنوما إليش (Enûma Eliš) من أول كلمتين فيها. اكتشفها هنري لايارد في ١٨٤٩ في آثار مكتبة آشوربانيبال في نينوى شمال العراق

تتألف من ألف سطر تقريبا على سبعة ألواح فخارية باللغة البابلية القديمة. في كل لوح ١١٥ إلى ١٧٠ سطرا. النص كامل تقريبا عدا اللوح الخامس لكن اكتشفت نسخة عنه في تركيا

تعتبر قصة الخلق البابلية أحد أهم المصادر لفهم نظرة البابليين للعالم وتظهر أهمية الاله مردوك وخلق البشرية من أجل خدمة الآلهة. لكن هدفها الرئيسي الأصلي ليس دينيا بل لتمجيد إله بابل الرئيسي مردوك على غيره من آلهة بلاد الرافدين.

هناك عدة نسخ للملحمة في بابل وآشور. تعود نسخة مكتبة آشوربانيبال إلى القرن السابع قبل الميلاد لكن القصة تعود على الأرجح إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد عندما كان الاله مردوك في أوج مكانته، مع أن بعض الباحثين يرجحون أنها تعود لما بين القرن الرابع عشر إلى الثاني عشر ق م

م منح مردوخ السلطة. وجلس فوق بقية الآلهة، وبقية الآلهة مجدوه ووافقوا سلطته. بعد منح مردوخ السلطة، تم منحه الصولجان والأثواب. وتم منحه الأسلحة وأرسل لمقاتلة تيامات، وأخذ معه قوس وعصا وصاعقة الضوء مع الرياح الأربعة فإلتهب جسده. باستخدام الرياح الأربعة صنع فخ لتيامات والذي سيجعلها غير قادرة على الهرب، ووضع معها الزوبعة والإعصار والإمهولو (الريح الشريرة)، ضربت الرياح السبعة تيامات. في حربه قام بقيادة عربة يقودها أربعة كائنات خلقها هو. فتحدى تيامات وقال أنها بغير جعلت من كينغو قريبها، وإتهمها بكونها سبب المشاكل. فغضبت تيامات وبدأت المعركة بينهم

مردوخ استخدم الشبكة والتي أهداها له أنو، ليصطاد تيامات، تيامات بعدها حاولت ضرب مردوخ، لكن الريح الشريرة دخلت إلى فمها ومنعتها من ذلك. وفيما كان دوامات الريح تضربها إنتفخت بسببها، فأشعل مردوخ فيما بعد سهمه وضربه على قلبها وماتت. بقية الآلهة حاولت الهرب، لكن مردوخ قبض عليهم وحطم أسلحتهم وقيدهم في الشباك. الإحدى عشر وحش قبض عليهم وتم تقييدهم، فيما أخذ كينغو إلى أوغاي (ملاك الموت)، في لوح الأقدار يذكر أن مردوخ أخذ كينغو وثم حطم رأس تيامات بالصولجان، وأخذت الرياح الشمالية معها. مردوخ مزق تيامات إلى قطعتين واحدة خلق بها السماء والأخرى قسمها إلى أجزاء وأخذها إلى كل من أنو وإنليل وآيا

[عدل] اللوح الخامس

مردوخ أصبح محبوب من بقية الآلهة في السماء، فصنع الأبراج لكي يعرفوا أيام السنة من خلالها. وخلق أيضاً الليل والنهار والقمر. وخلق الغيوم وجعلها تمطر ومن خلالها وجد نهري دجلة والفرات. ثم منح لوح الأقدار إلى أنو. تماثيل الإحدى عشر وحش لتيامات تم صنعها ووضع على بوابة أنزو

[عدل] اللوح السادس

مردوخ بعدها تكلم إلى آيا وقال له أنه من خلال دمه سيخلق الإنسان وأن هذا الإنسان سيخدم الآلهة، إيا نصحه باختيار إله لتقديم كتحضية لأجل خلق الإنسان، إختار إغيجي أن يكون كينغو، فأختير دمه لخلق البشر. مردوخ قسم الآلهة إلى فوقية وسفلية، ٣٠٠ وضعهم في السماء و٦٠٠ وضعهم في الأرض، الآلهة إقترحت بأن يتم بناء عرض، فأخذت سنة كاملة لأجل صنع الطوب وقاموا ببناء **بابل** وضريح لمردوخ، فقال لهم مردوخ بأنه سيبنى تم إقامة مأدبة كبرى للآلهة الكبار. **وإنليل** معبد مردوخ) وجعلوه بارتفاع ليكون مسكن مردوخ وآيا) **إيساكيل** معبد بهذه المناسبة، أنو مدح رمح إنليل وثم مدح مردوخ. والألقاب التسعة لمردوخ تم إعطائها له

بعض الملاحظات والاستنتاجات :

ترك الى القارىء ما قد يستنتج من آراء عن اسطورة الخليفة البابلية التي لخصناها ، فهناك مجالات للوصول الى آراء مختلفة تنطوي عليها هذه الاسطورة وما قد يطبقونه من نظريات وتفسيرات تختلف باختلاف المدارس المتوعدة في تفسير الاساطير مما لا يتسع المجال لايرادها ، فنكتفي بالملاحظات التالية .

١ - يوجد تشابه وتناظر واضحان ما بين الاسطورة وبين رواية التوراة عن الخلق والتكوين (سفر التكوين ، الاصحاح الاول : ١-٢ ، والاصحاح الثالث) ، فكلا المصدرين يشير الى ان الكون لم يكن فيه في البدء شيء سوى العماء (Chaos) المؤلف من « المياه الاولى » . وتشابه الكلمتان المستعملتان لهذه « المياه الاولى » في كلا المصدرين . في الاسطورة البابلية « تيامة » (ومنها تهامة) و « تيهوم » في التوراة . وكانت المادة الاولى (المياه الاولى) في الاسطورة البابلية مؤلفة من عنصرين : (١) الماء العذب ، « أبسو » ، وهو العنصر المذكور (٢) والماء المالح ، « تيامه » ، العنصر المؤنث . وقد جسم العراقيون القدماء هذين العنصرين وجعلوهما الهأ (أبسو) والهة (تيامة) . وكما ان الاله مردوخ خلق من جسم « تيامة » (اى مياه البحر الاولى) السماء من نصفه الاعلى والارض من النصف الاسفل ، كذلك خلق الله في رواية التوراة السماء بفصل انبياء الاولى . وبحسب الاسطورة البابلية تكون المادة الاولى عند العراقيين القدماء ذات طبيعة ثنائية ، اذ كانت مادة وآلها في الوقت نفسه ، اى ان المادة مازلية وجدت منذ البدء ولم تخلق . وهنا نجد اختلافا جوهريا ما بين العقيدة

البابلية وبين عقائد الأديان السماوية ، ولا سيما ما جاء في التوراة والقرآن ، حيث وجود الخالق أزلي سبق وجوده المادة وهو الذي اوجد المادة .

٢ - في وسعنا ان نستشف من وراء الغلاف الاسطوري لرواية الخلق البابلية احوال العراق القديم اجغرافية في بداية ظهور اولى الحضارات في السهول الرسوبية منه في المراحل الأولى من استيطانها . فالمياه الأولى والصراع والاختراب ما بين جيل الآلهة الحديثة بزعامة « مردوخ » وبين جيل الآلهة العتيقة الممثلة بابوي الآلهة الاولين ، « أبسو » و « تيامة » (اللذين قلدا انهما المياه الأولى) ، وتغلب مردوخ عليهما ثم احلال النظام في الكون بدلا من « العماء » ، وخلق الكون والانسان واقامة العمران - كل هذا وغيره يصور لنا صراع العراقيين الأوائل مع بيئتهم الطبيعية والسيطرة عليها وبناء الحضارة . فان السهول الرسوبية التي نشأت فيها اول الحضارات ان لم تكن مغمورة بمياه البحر ، بحسب النظرية القديمة ، والاقبياء الاهوار والاحراش الناجمة عن فيضانات الانهار ، ثم استطاع الانسان بمرور الأزمان ان يسيطر على تلك الاحوال الطبيعية المنيقة بما اقامه من سدود ونظام لدري .

٣ - وعلى ضوء المبدأ السائد في العقائد الدينية عند العراقيين القدماء من ان مجتمع الآلهة صورة للمجتمع البشري حسب المبدأ المعروف بالتشبيه (Anthropomorphism) في عزو صفات البشر المادية والروحية الى الآلهة ، يستطع القارىء ان يصل الى استنتاجات مهمة اخرى ، منها ان هذه الاسطورة تصور لنا ايضا بالاسلوب الاسطوري الاحوال السياسية والاجتماعية في العراق القديم في أولى مراحل تكوينه الحضارى ، حيث كان نوع من اسلوب الحكم يصح أن نطلق عليه مصطلح « الديمقراطية البدائية » ، اذ تصور الاسطورة الكون على هيئة دولة يحكم فيها الآلهة حكما شوريا كانت القرارات فيه تتخذ في مجالس شورى بطريق

الافتراع ، كما حدث في تنصيب « مردوخ » ملكا على الآلهة عن طريق انتخاب الآلهة له . ولعل هذا أصل الحكم ونظام الملوكية . وما يجدر ذكره بهذا الصدد ان الالهات ، مثل عشتار ، كن يصوتن في مجالس شورى الآلهة . ومن الاستنتاجات المهمة ان نظام الحكم لم يكن من أصل النظام الكوني بل ظهر بصورة طارئة ابان تلك الازمة التي حلت بمجمع الآلهة ، وهي الحرب بين الآلهة الحديثة وبين الآلهة العتيقة ، وضرورة نشوء قيادة في تلك الحرب .

وثمة أمر آخر مهم نستنتجه من الاسطورة ، ذلك هو العنف والصراع اللذان رافقا عملية الخلق والتكوين ، وما هذا الا صورة عن العنف الذي تتميز به البيئة الطبيعية التي ظهرت فيها حضارة وادي الرافدين . على ان المتبع لاساطير الخلق في حضارة وادي النيل يقف على عكس هذه الصورة حيث تمت عملية الخلق بسلام وهدوء .

٤ - هذا ولا يسعنا الاسترسال في ذكر التفسيرات الاخرى المحتملة التي ارتأها الباحثون المختلفون ، فنكتفي في ختام هذه الملاحظات بالتبويه بان احد هذه التفاسير يستند الى المذهب « الفرويدي » في التحليل النفسي بتعليل النزاع والاقتيال ما بين جيل الابناء وجيل الآباء من الآلهة بالعقدة التي يطلق عليها « فرويد » عقدة « أوديب » . ومع اتنا لسنا من المتحمسين لهذا التفسير الا ان موضوع قضاء الآلهة الابناء على آباؤهم يتكرر وروده في اساطير كثير من الحضارات القديمة ، ففي الحضارة اليونانية مثلا قضى الاله « كرونوس » (Cronus) على ابيه « أورانوس » (Uranus) وتغلب « زوس » على ابيه « كرونوس » ، على ما هو معروف في الاساطير اليونانية .